

منافع وأضرار النار

(٦ ذو القعدة ١٤٣٦ هـ)

لأبي عبد الرحمن

عبد الرقيب بن علي بن أحمد أبو عبد الرحمن الكوكباني

كان الله له في الدارين

بمسجد أم القرى صنعاء

حرسها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا
إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما
كثيرا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)،
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
رَقِيبًا﴾^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣). أما
بعد:

^(١) سورة آل عمران: (١٠٢).

^(٢) سورة النساء: (١).

^(٣) سورة الأحزاب: (٧٠-٧١).

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمون، نقف في هذه الجمعة إن شاء الله مع حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما^(٤) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل، فحدث بشأنهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «إن هذه النار إنما هي عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم».

نقف مع فوائد هذا الحديث وكلماته بشيء مما يسر الله من البيان لمسيس الحاجة إليها.

صحابي هذا الحديث هو أبو موسى الأشعري رضي الله من الأشعريين، من أهل اليمن، ولد في اليمن ونشأ فيها. وأهل اليمن أثنى عليهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخير.

^(٤) أخرجه البخاري (٦٢٩٤) ومسلم (٢٠١٦).

ففي الصحيحين^(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة. الإيمان يمان^(٦)، والفقه يمان^(٧)، والحكمة يمانية».

^(٥) أخرجه البخاري (٤٣٩٠) ومسلم (٥٢).

^(٦) قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: ولا مانع من إجراء الكلام على ظاهره، وحمله على أهل اليمن حقيقة؛ لأن من اتصف بشيء وقوي قيامه به وتأكد اطلاعه منه ينسب ذلك الشيء إليه إشعاراً بتميزه به وكمال حاله فيه. وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان وحال الوافدين منه في حياة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي أعقاب موته كأويس القرني وأبي مسلم الخولاني رضي الله عنهما وشبههما ممن سلم قلبه وقوي إيمانه. فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك إشعاراً بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم، فلا منافاة بينه وبين قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الإيمان في أهل الحجاز. (نقله النووي في "شرح صحيح مسلم" ٢/ ص ٣٣).

^(٧) قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: وأما ما ذكر من الفقه والحكمة، فالفقه هنا: عبارة عن الفهم في الدين. واصطلح بعد ذلك الفقهاء وأصحاب الأصول على: تخصيص الفقه بإدراك الأحكام الشرعية العملية بالاستدلال على أعيانها. وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائلها على بعض صفات الحكمة وقد صفا لنا منها أن الحكمة: عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل. والحكيم من له ذلك. وقال أبو بكر ابن دريد: كل كلمة وعظمتك وزجرتك أودعتك إلى مكرومة أو نهنك عن قبيح فهي حكمة وحكم. ومنه قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن من الشعر حكمة». وفي بعض الروايات: «حكماً». والله أعلم. (نقله النووي في "شرح صحيح مسلم" ٢/ ص ٣٣).

هذا الرجل وقومه وعشيرته من الأشعرين يدخلون دخولاً أولاً في المناقب التي تضمنها قول الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ^(٨) يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ^(٩) أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ^(١٠)

^(٨) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأخبر أن كل من ارتد عن دين الله فلا بد أن يأتي الله بدله بمن يقيم دينه. ("مجموع الفتاوى" / ٢ / ص ١٣٥-١٣٦).

^(٩) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: بل أصل الولاية الحب، وأصل العداوة بغض. ("مجموع الفتاوى" / ٦ / ص ٤٧٨).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: والله ولي الذين آمنوا وهم أوليائه، فهم يوالونه بمحبتهم له، وهو يوالهم بمحبته لهم، فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له. ولهذا أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه أولياء، بخلاف من والى أولياءه، فإنه لم يتخذهم من دونه، بل موالاته لهم من تمام موالاته. وقد أنكر على من سوى بينه وبين غيره في المحبة، وأخبر أن من فعل ذلك فقد اتخذ من دونه أندادا يحبهم كحب الله، قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

وأخبر عمن سوى بينه وبين الأنداد في الحب، أنهم يقولون في النار لمعبودهم: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين - إذ نسويكم برب العالمين﴾ [سورة الشعراء: ٩٧ - ٩٨]. وبهذا التوحيد في الحب أرسل الله سبحانه جميع رسله، وأنزل جميع كتبه، وأطبقت عليه دعوة جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، ولأجله خلقت السماوات والأرض والجنة والنار، فجعل الجنة لأهلها، والنار للمشركين به فيه.

(انتهى من "الجواب الكافي" / ص ٢٢٩).

^(١٠) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب، فإذا أحب أنبياء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحوبات الحق لا لشيء آخر فقد أحبه الله لا لغيره، وقد قال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾. ("مجموع الفتاوى" / ١٠ / ص ١٩١).

أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ^(١١) يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^(١٢) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿[المائدة: ٥٤].

روى ابن أبي شيبة في مسنده^(١٣) عن عياض الأشعري، قال: قال رسول الله لأبي موسى: «هم قوم هذا - يعني في قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] -»^(١٤).

^(١١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فلا بد لمحبة الله من متابعة الرسول والمجاهدة في سبيل الله، بل هذا لازم لكل مؤمن. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فهذا حب المؤمن لله. ("مجموع الفتاوى" / ٨ / ص ٣٦٤-٣٦٥).

^(١٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كانت المحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبته، ومكروهه، وولايته، وعداوته. فمن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾، والمحبة التامة لا يؤثر فيه لوم اللائم وعذل العاذل بل ذلك يغريه بملازمة المحبة - إلى قوله: - وهم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضاه من جهاد أعدائه. ("التحفة العراقية" / ص ٨٧-٨٨).

^(١٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٦٦٤) وابن أبي عاصم (٢٥١٥) والطبراني في الكبير (١٠١٦)، وهو حديث حسن.

^(١٤) وقد جعل الله أهل اليمن عموماً والأشعرين خصوصاً أنصار سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كل زمان. عن سلمة بن نفيل السكوني رضي الله عنه قال: دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كادت ركبتيان تمسان فخذته فقلت: يا رسول الله تركت الخيل وألقي السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال. فقال:

«كذبوا، الآن جاء القتال. لا تزال من أمتي أمة قائمة على الحق ظاهرة على الناس، يزيغ الله قلوب قوم قاتلوهم لينالوا منهم». وقال وهو مول ظهره إلى اليمن: «إني أجد نفس الرحمن من هاهنا. ولقد أوحى إلي أني مكفوت غير ملبث، وتتبعوني أفناداً. والخييل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها». (أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٦٣٥٨) / صحيح).

ومعنى نفس الرحمن أي: تنفيسه من الكربات.

قال ابن قتيبة رحمه الله: وإنما أراد أن الريح من فرج الرحمن عز وجل وروحه، يقال: اللهم نفس عني الأذى. وقد فرج الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم بالريح يوم الأحزاب وقال تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها﴾. وكذلك قوله: «إني لأجد نفس ربكم من قبل اليمن». قال أبو محمد: وهذا من الكناية لأن معنى هذا أنه قال كنت في شدة وكرب وغم من أهل مكة ففرج الله عني بالأنصار، يعني: أنه يجد الفرج من قبل الأنصار وهم من اليمن. فالريح من فرج الله تعالى وروحه كما كان الأنصار من فرج الله تعالى. ("تاويل مختلف الحديث" / ص ٢١٢).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في شأن أهل اليمن: وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات. ("مجموع الفتاوى" / ٦ / ص ٣٩٨).

وخير التابعين، أويس القرني، هو من أمداد أهل اليمن لنصرة الإسلام. عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفياكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والد؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدته هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل». فاستغفر لي، فاستغفر

يعني: الأشعرين على وجه الخصوص واليمنيين على وجه العموم.

نعم، هذا الصحابي في حادثة سنّه وهو في الجاهلية ينكر ما يجد من قومه من الوثانية وعبادة الأصنام^(١٥)، وكان قد أظل في أعماق قلبه أن يوجد الله في هذه

له. فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي. الحديث. (أخرجه مسلم (٢٥٤٢)).

وهكذا في مر التاريخ جعل الله من أنصاره أهل اليمن. فلا عجب أن الله أكرمهم بأن يكونوا أول من يرد حوض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيشرب منه.

عن ثوبان رضي الله عنه: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم». فسئل عن عرضه، فقال: «من مقامي إلى عمان». وسئل عن شرابه فقال: «أشدّ بياضا من البن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق». (أخرجه مسلم (٢٣٠١)).

قال الإمام النووي رحمه الله: معناه: أطرّد الناس عنه غير أهل اليمن ليرفض على أهل اليمن. وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الإسلام والأنصار من اليمن، فيدفع غيرهم حتى يشربوا، كما دفعوا في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم أعداءه والمكروهات. ("شرح النووي على مسلم" / ١٥ / ص ٦٢).

^(١٥) إن صحة التوحيد وحُسنه ثابت بالعقل والفطرة، كما أنه ثابت بالكتاب والسنة من باب أولى. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ... في تلك الأمثال والحجج والبراهين الدالة على قبّحه في صريح العقول والفطر وأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم. وأي شيء يصح في العقل إذا لم يكن فيه علم بقبح الشرك الذاتي وأن العلم بقبحه

الامة معجزة لإنقاذ البشرية مما هي فيه من الشرك والوثانية والجهل والضلال إلى ميدان السنة والتوحيد وعبادة الله وطاعته، فوافقه ما في قلبه من الأمنية مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أرض الحجاز فانطلق هو مع عمه أبي عامر^(١٦)، وأخويه مع اثنين وخمسين من الأشعرين إلى رسول الله صلى الله عليه

بديهي معلوم بضرورة العقل، وأن الرسل نبهوا الأمم على ما في عقولهم وفطرتهم من قبحه، وأن أصحابه ليست لهم عقول ولا ألباب ولا أفئدة، بل نفى عنهم السمع والبصر والمراد سمع القلب وبصره، فأخبر أنهم صمّ بكم عمي. ولذلك وصف قلوبهم أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق وشبههم بالأنعام التي لا عقول لها تميز بها بين الحسن والقيح والحق والباطل. ولذلك اعترفوا في النار بأنهم لم يكونوا من أهل السمع والعقل وأنهم لو رجعوا إلى أسماعهم وعقولهم لعلموا حسن ما جاءت به الرسل وقبح مخالفتهم.

قال الله تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. وكم يقول لهم في كتابه: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فينبههم على ما في عقولهم وفطرتهم من الحسن والقيح، ويحتج عليهم بها، ويخبر أنه أعطاهاهم ليتنفعوا بها ويميزوا بها بين الحسن والقيح والحق والباطل. (انتهى من "مدارج السالكين" / ١ / ص ٢٣٩-٢٤٠).

^(١٦) أبو عامر رضي الله عنه صحابي جليل أمير بطل، استشهد في سبيل الله.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا فَرَّغَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - مِنْ حُجَّتَيْنِ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ، فَقَتَلَ دُرَيْدَ وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ. قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرَمَى أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشْمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَاثْبَتَتْ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمُّ مَنْ رَمَاكَ فَأَشَارَ إِلَيَّ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي. فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ فَلَمَّا رَأَيْتِي وَفَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي، أَلَا تَتَّبْتُ. فَكَفَّ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلْتُهُ ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ. قَالَ: فَأَنْزَعُ هَذَا السَّهْمَ فَتَرَعْتُهُ فَتَرَا مِنْهُ الْمَاءَ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِي النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -

وعلى آله وسلم إلى مكة، فوافق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أشد ما يكون من الأذية على أهل الإيمان فعلم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنهم في عناء وبلاء وشدة وقد فرّ من فرّ إلى أرض الحبشة لينجو بنفسه ودينه. فشاور هذا الصحابي رسول الله في أمره: مرنا يا رسول الله بما شئت. إن شئت أقمنا معك، وإن شئت هاجرنا إلى الحبشة، وإن شئت رجعنا إلى قومنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ارجعوا إلى قومكم فادعوهم إلى الله^(١٧)

السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي. وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَتَرَ رِمَالِ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَيْرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ». وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ». فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا». قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى. (أخرجه البخاري/ كتاب المغازي/ غزوة أوطاس/ (٤٣٢٣)/ دار الكتب العلمية).

^(١٧) قال الله سبحانه: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ونحوهما.

قال الإمام أبو زكريا ابن النحاس رحمه الله: فدلّت هذه الآيات والأخبار على فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى علو محله وعلى الترغيب في القيام به، وشرف أهله، وأنه واجب على كل مسلم

فأقرئوا عليهم سورا من القرآن، فعادوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام وإلى جنة عرضها السماوات والأرض. فاجتمع في أبي موسى كل جزء من خصال أهل الإيمان ومن أهل اليمان. فلما بلغه مخرج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مكة إلى المدينة حرك نفسه وإخوانه وأعوانه بالهجرة إلى المدينة.

عن أبي موسى رضي الله عنه^(١٨)، قال: بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال: بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلا من قومي، فركبنا سفينة، فألقنا سفيتنا^(١٩) إلى النجاشي

استطاع سواء كان رجلا أو امرأة أو عبدا كما عليه إجماع الأمة. ("تنبيه الغافلين" / ص ١٦-١٧ / ط. الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب، والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها. ("فتح القدير" / ٢ / ص ٨).

^(١٨) أخرجه البخاري (٤٢٣٠) ومسلم (٢٥٠٣).

^(١٩) قال الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا، فوافقنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين افتتح خيبر، وكان أناس من الناس يقولون لنا، يعني لأهل السفينة: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس، وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأساء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يطعم جائعكم، ويعط جاهلكم، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ، ولا أزيد عليه. فلما جاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالت: يا نبي الله إن عمر

قال: كذا وكذا؟ قال: «فما قلت له؟» قالت: قلت له: كذا وكذا، قال: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم -أهل السفينة- هجرتان»^(٢٠)، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالا، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني.

عن أنس رضي الله عنه^(٢١) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوبا»^(٢٢)، قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون: غدا نلقى الأحبه محمدا وحزبه.

^(٢٠) قال ابن حجر رحمه الله: وظاهره تفضيلهم على غيرهم من المهاجرين لكن لا يلزم منه تفضيلهم على الإطلاق بل من الحيثية المذكورة. ("فتح الباري" / ٧ / ص ٤٨٦).

^(٢١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٠٢٦) وابن أبي شيبة (٣٢٢٥٧) والبخاري (٦٥٩٥) بسند صحيح.

^(٢٢) قال الخطابي: قوله: (هم أرق أفئدة وألين قلوباً) أي: لأن الفؤاد غشاء القلب. فإذا رقيق نفذ القول وخلص إلى ما وراءه وإذا غلظ بعد وصوله إلى داخل، وإذا كان القلب لنا علق كل ما يصادفه. ("فتح الباري" / لابن حجر / ٨ / ص ١٠٠).

فلما قدموا فصافحوا وهم أول من صافح، أعني: أهل اليمن.

عن أنس رضي الله عنه^(٢٣)، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أتاكم أهل اليمن وهم أرق قلوبا منكم، وهم أول من جاء بالمصافحة»^(٢٤).

هذا الرجل وعشيرته لهم منزلة عالية في قلب النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وله على الوجه الخصوص مكان مرموق في صدر النبي. وأما عشيرته وهم الأشعريون لهم مكانة عالية فقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بيان مناقبهم كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه^(٢٥)، قال: قال النبي

^(٢٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٣٢١٢) وأبو داود (٥٢١٣) والبخاري في الأدب المفرد (٩٦٧)/ صحيح.

^(٢٤) قال ابن بطال رحمه الله: المصافحة حسنة عند عامة العلماء، وقد استحبها مالك بعد كراهة، وهي مما تنبت الود وتؤد المحبة، ألا ترى قول كعب بن مالك في حديثه الطويل حين قام إليه طلحة وصافحه: (فوالله لا أنساها لطلحة أبدا) فأخبر بعظيم موقع قيام طلحة إليه من نفسه ومصافحته له وسروره بذلك، وكان عنده أفضل الصلوة والمشاركة له، وقد قال أنس: إن المصافحة كانت في أصحاب رسول الله، وهم الحجة والقُدوة الذين يلزم اتباعهم، وقد ورد في المصافحة آثار حسان. ("شرح صحيح البخاري"/ لابن بطال ٩/ ص ٤٤).

^(٢٥) أخرجه البخاري (٢٤٨٦) ومسلم (٢٥٠٠).

صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن الأشعرين»^(٢٦) إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»^(٢٧).

وعن أبي موسى رضي الله عنه^(٢٨) قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن»^(٢٩) حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل^(٣٠)، وإن كنت لم أر منازلهم حين

^(٢٦) قال الإمام ابن حجر رحمه الله: وفي الحديث فضيلة عظيمة للأشعرين قبيلة أبي موسى وتحديث الرجل بمناقبه، وجواز هبة المجهول، وفضيلة الإيثار والمواساة، واستحباب خلط الزاد في السفر وفي الإقامة أيضا والله أعلم. ("فتح الباري" / لابن حجر / ٥ / ص ١٣٠).

^(٢٧) قال الإمام أبو الوليد الباجي رحمه الله: لم يرد أنه من الأشعرين في النسب ولا أنهم من قريش، وإنما أراد أن خلقهم في المساواة أقرب الأخلاق إلى خلقه الكريم العظيم - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . ("المنتقى شرح الموطأ" / ٣ / ص ١٩٧).

^(٢٨) أخرجه البخاري (٤٢٣٢) ومسلم (٢٤٩٩).

^(٢٩) قال الإمام النووي رحمه الله: وفيه دليل لفضيلة الأشعرين. ("المنهاج" / ١٦ / ص ٦١).

^(٣٠) قال الإمام النووي رحمه الله: وفيه أن الجهر بالقرآن في الليل فضيلة إذا لم يكن فيه إيذاء لنائم أو لمصل أو غيرهما ولا رياء والله أعلم. ("المنهاج" / ١٦ / ص ٦١).

نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم، إذا لقي الخيل، أو قال: العدو، قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم^(٣١).

فإذا: هم صَوَّام قَوَّام كرام هؤلاء القوم الأشعريون الذين منهم أبو موسى عبد الله بن قيس رضي الله عنهم وأرضاهم. وأما هذا الرجل فأكرم بمناقبه وأكرم بمقامه وعظيم منزلته عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما حباه الله عليه من محاسن الخلق ومكارم الأخلاق.

عن أبي موسى رضي الله عنه^(٣٢)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأبي موسى: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارة من مزامير آل داود»^(٣٣).

^(٣١) قال الإمام ابن حجر رحمه الله: أي: تنتظروهم من الانتظار. ومعناه: أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو بل يواجههم ويقول لهم إذا أرادوا الانصراف مثلاً انتظروا الفرسان حتى يأتوكم ليشتبهم على القتال. هذا بالنسبة إلى الشق الثاني وهو قوله: (أو قال: العدو) وأما على الشق الأول وهو قوله إذا لقي الخيل فيحتمل أن يريد بها خيل المسلمين ويشير بذلك إلى أن أصحابه كانوا رجالاً فكان هو يأمر الفرسان أن ينتظروهم ليسيروا إلى العدو جميعاً وهذا أشبه بالصواب قال بن التين معنى كلامه أن أصحابه يحبون القتال في سبيل الله ولا يبالون بما يصيبهم. ("فتح الباري" ٧ / ص ٤٨٧).

^(٣٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨) ومسلم (٧٩٣).

وفي رواية عن أبي موسى رضي الله عنه^(٣٤) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لو رأيتني البارحة، وأنا أستمع لقراءتك»^(٣٥) لقد أوتيت من مزامير آل داود^(٣٦) قال: قلت: لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيراً.

وفي حديث بريدة رضي الله عنه^(٣٧): ... فلما كان من القابلة خرج بريدة عشاء، فلقية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأخذ بيده فأدخله المسجد، فإذا

^(٣٣) قال أبو عبيد: ومحمل الأحاديث التي جاءت في حسن الصوت إنما هو على طريق الحزن والتخويف والتشويق. ("شرح صحيح البخاري" / لابن بطال / ١٠ / ص ٢٧٥).

^(٣٤) أخرجه البزار كما في "البحر الزخار" (٣١٦٠) والنسائي في "الكبرى" (٨٠٠٤) وابن حبان في صحيحه (٧١٩٧) / صحيح.

^(٣٥) قال شيخ الإسلام رحمه الله: ولهذا السماع من المواجيد العظيمة والأذواق الكريمة ومزيد المعارف والأحوال الجسيمة ما لا يتسع له خطاب ولا يحويه كتاب، كما أن في تدبر القرآن وتفهمه من مزيد العلم والإيمان ما لا يحيط به بيان. ("مجموع الفتاوى" / ١٠ / ص ٨١).

^(٣٦) قال النووي رحمه الله: قال العلماء: المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن وأصل الزمر الغناء وآل داود هو داود نفسه وآل فلان قد يطلق على نفسه وكان داود صلى الله عليه وعلى آله وسلم حسن الصوت جداً. ("شرح النووي على مسلم" / ٦ / ص ٨٠).

^(٣٧) أخرجه الإمام عبد الرزاق في مصنفه (٤١٧٨) والإمام أحمد في مسنده (٢٢٩٥٢). سنده صحيح.

صوت الرجل يقرأ فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أتقوله مرئياً؟» فقال بريدة: أتقوله مرئياً يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا. بل مؤمن منيب»^(٣٨)، لا. بل مؤمن منيب». فإذا الأشعري يقرأ بصوت له في جانب المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن الأشعري، أو إن عبد الله بن قيس، أعطي زمماراً من زمير داود». فقلت: ألا أخبره يا رسول الله؟ قال: «بلى فأخبره» فأخبرته، فقال: أنت لي صديق أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بحديث.

نعم أيها المسلمون. قال أبو عثمان النهدي رحمه الله، وهو من خيار التابعين: «ما سمعت زمماراً، ولا طنبوراً ولا صنجاً أحسن من صوت أبي موسى إن كان ليصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة من حسن صوته»^(٣٩).

^(٣٨) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في معنى الإنابة: وهي تتضمن أربعة أمور: محبته والخضوع له والإقبال عليه والإعراض عما سواه فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربعة. وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك. وفي اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم. والمنيب إلى الله: المسرع إلى مرضاته الراجع إليه كل وقت المتقدم إلى محابه. ("مدارج السالكين" / ١ / ص ٤٣٤).

^(٣٩) أخرجه أبو بكر الشافعي في "الغيلانيات" (١ / ١٩١) / سنده صحيح.

نعم أيها المسلمون، هذا الرجل قبل البشرى من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأكرمه الله بكرامة عظيمة.

أخرج الشيخان في صحيحهما^(٤٠) عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة، ومعه بلال، فأتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «أبشر» فقال: قد أكثرت علي من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان^(٤١)، فقال: «رد البشرى»^(٤٢)، فأقبلا أنتما قالوا:

^(٤٠) أخرجه البخاري (٤٣٢٨) ومسلم (٢٤٩٧).

^(٤١) قال ابن حجر رحمه الله: وفي أخرى في "المغازي" من طريق سفيان أيضا: فرؤي ذلك في وجهه. وفيها: فقالوا: يا رسول الله بشرتنا. وهو دال على إسلامهم، وإنما راموا العاجل. وسبب غضبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم استشعاره بقله علمهم لكونهم علقوا آمالهم بعاجل الدنيا الفانية، وقدموا ذلك على التفقه في الدين الذي يحصل لهم ثواب الآخرة الباقية. قال الكرمانى: دل قولهم (بشرتنا) على أنهم قبلوا في الجملة، لكن طلبوا مع ذلك شيئا من الدنيا. وإنما نفى عنهم القبول المطلوب لا مطلق القبول، وغضب حيث لم يهتموا بالسؤال عن حقائق كلمة التوحيد، والمبدأ، والمعاد، ولم يعتنوا بضبطها، ولم يسألوا عن موجباتها والموصلات إليها. قال الطيبي: لما لم يكن جل اهتمامهم إلا بشأن الدنيا قالوا: (بشرتنا فأعطنا)، فمن ثم قال: «إذ لم يقبلها بنو تميم». ("فتح الباري" / ١٣ / ص ٤٠٩).

قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه^(٤٣)، ثم قال: «اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا»^(٤٤). فأخذوا القدح ففعلا.

^(٤٣) قال ابن حجر رحمه الله: والمراد بهذه البشارة أن من أسلم نجا من الخلود في النار، ثم بعد ذلك يترتب جزاؤه على وفق عمله، إلا أن يغفو الله. وقال الكرمانى: بشرهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما يقتضي دخول الجنة حيث عرفهم أصول العقائد التي هي المبدأ والمعاد وما بينهما. كذا قال. ("فتح الباري" / ١٣ / ص ٤٠٩).

^(٤٤) قال المهلب رحمه الله: هذا الباب كله يقتضى طهارة فضل الوضوء، وهو الماء الذى يتطايير عن المتوضىء ويجمع بعدما غسل به أعضاء الوضوء. وفضل السواك هو الماء الذى يتقع فيه السواك ليرطب، وسواكهم الأراك وهو لا يغير الماء. فأراد البخارى أن يعرفك أن كل ما لا يتغير، فإنه يجوز الوضوء به، والماء المستعمل غير متغير فهو طاهر. ("شرح صحيح البخاري" / لابن بطال / ١ / ص ٢٨٩).

^(٤٥) قال المهلب رحمه الله: ففى أحاديث هذا الباب دليل على أن لعاب أحد من البشر ليس بنجس ولا بقية شربه، وذلك يدل أن نهييه، (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، عن النفخ فى الطعام والشراب ليس على سبيل أن ما تطايير فيه من اللعاب ينجسه، وإنما هو خشية أن يتقذره الأكل منه، فأمر بالتأديب فى ذلك، وهذا التقذر الذى نهى عن النفخ من أجله مرتفع عن النبى، (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، بل كانت نخامته أطيب عند المسلمين من المسك، لأنهم كانوا يتدافعون عليها، ويدلكون بها وجوههم لبركتها وطيبها، وأنها مخالفة لخلاف أفواه البشر، وذلك لمناجاته الملائكة فطيب الله لهم نكهته، وخلف فيه، وجميع رائحته. ("شرح صحيح البخاري" / لابن بطال / ١ / ص ٢٩١-٢٩٢).

فكان هذا الرجل مباركاً عليه وعلى قيامه وأخلاقه ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وجاء في صحيح البخاري من حديث أبي موسى رضي الله عنه^(٤٥) أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا له: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً».

وبعثه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى اليمن مع معاذ بن جبل رضي الله عنه يدعو أهل اليمن إلى جنة عرضها السماوات والأرض. ففي الصحيحين^(٤٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن قال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»^(٤٧).

^(٤٥) أخرجه البخاري (٤٣٢٣) / دار الكتب العلمية.

^(٤٦) أخرجه البخاري (٣٠٣٨) ومسلم (١٧٣٣).

^(٤٧) قال الإمام النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير. وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان ومن بلغ ومن تاب من المعاصي كلهم يتلطف بهم ويدرجون في أنواع الطاعة قليلا قليلا. وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدرج

وقال له يوما لأنه يحبه فهو يوصيه بما يحبه الأذكار. ففي الصحيحين^(٤٨)
 من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ... فقال لي: «يا عبد الله بن قيس». قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة» قلت: بلى يا رسول الله، فذاك أبي وأمي، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٤٩).

فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالبا التزايد منها. ومتى عسرت عليه أو شك أن لا يدخل فيها وإن دخل أو شك أن لا يدوم أو لا يستحليها. وفيه أمر الولاية بالرفق واتفاق المتشاركين في ولاية ونحوها، وهذا من المهمات فإن غالب المصالح لا يتم إلا بالاتفاق، ومتى حصل الاختلاف فات. وفيه وصية الإمام الولاية وإن كانوا أهل فضل وصلاح كمعاذ وأبي موسى فإن الذكرى تنفع المؤمنين. ("شرح النووي على مسلم" / ١٢ / ص ٤١).

^(٤٨) أخرجه البخاري (٤٢٠٥) ومسلم (٢٧٠٤).

^(٤٩) قال النووي رحمه الله: قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئا من الأمر. ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس؛ كما أن الكنز أنفس أموالكم. قال أهل اللغة: الحول: الحركة والحيلة أي: لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى. وقيل معناه: لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله. وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته. ("شرح النووي على مسلم" / ١٧ / ص ٢٦).

الرجل عظيم الموقع في الصحابة جميل الآثار، عظيم المقام في صدر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي صدور الصحابة وإذا أثنوا عليه بخير ما علموا من ظاهره ومن حسن أخلاقه ومن إتقانه للعلم.

فلذلك أخرج ابن سعد في "الطبقات" (٥٠) من حديث أنس قال: بعثني الأشعري إلى عمر فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن. فقال: أما إنه كيس ولا تسمعها إياه. ثم قال: كيف تركت الأعراب؟ قلت: الأشعريين؟ قال: لا بل أهل البصرة. قلت: أما إنهم لو سمعوا هذا لشق عليهم. قال: فلا تبلغهم فإنهم أعراب إلا أن يرزق الله رجلا جهادا.

(٥٠) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٤ / ٨١) قال: أخبرنا أبو أسامة حماد بن أسامة ووهب بن جرير بن حازم قالوا: حدثنا هشام الدستوائي عن قتادة عن أنس بن مالك به.

أبو أسامة حماد بن أسامة ووهب بن جرير بن حازم ثقتان معروفان.

هشام الدستوائي من أثبت الناس في قتادة.

قتادة ابن دعامة من أثبت الناس في أنس بن مالك رضي الله عنه.

فالسند صحيح.

قول عمر: (أما إنه كيس، ولا تُسمعها إياه) أي: لا تخبر ما قلت فيه، حتى لا يدخل على قلبه شيء، خلّه يبقى يعلم الناس القرآن والسنة والدين وفي العلوم الشرعية.

وقال الأسود بن يزيد^(٥١) يقول: لم أر بالكوفة من أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعلم من علي بن أبي طالب والأشعري.

وقال الشعبي رحمه الله^(٥٢): كان القضاة أربعة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري.

^(٥١) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (ص ٣٢/ ص ٦٢-٦٣) فقال: أخبرنا أبو عبد الله الفقيه أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أحمد بن علي المقرئ نا أبو عيسى الترمذي نا ابن أبي عمر نا سفيان عن أبي إسحاق قال: سمعت الأسود بن يزيد به.

رجاله ثقات.

وأحمد بن علي المقرئ هو أبو جعفر ابن الفضيل الخزاز المقرئ ثقة. ("تاريخ بغداد" / ٥ / ص ٤٩٦).

فالسند صحيح.

^(٥٢) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (ص ٣٢/ ص ٦٥) فقال: أنبأنا أبو علي الحداد أنبأ أبو نعيم ثنا وأخبرنا أبو البركات الانباطي أنا أحمد بن الحسن أنبأ أبو القاسم بن بشران أنبأ أبو علي بن الصواف نا محمد بن عثمان بن أبي شيبة نا المنجاب بن الحارث أنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن الشعبي به.

أبو علي الحداد هو الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن مهرة الحداد الأصبهاني المقرئ، كان شيخاً، عالماً، ثقة. ("التحجير في المعجم الكبير" / لأبي سعد السمعاني / ١ / ص ١٧٧).

أبو نعيم هو الأصبهاني الحافظ، معروف.

أبو البركات الأنطاقي هو الإمام، الحافظ المفيد، الثقة المسند، بقية السلف، أبو البركات، عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن بن بندار، البغدادي، الأنطاقي. ("سير أعلام النبلاء" / ١٥ / ص ٧).

أحمد بن الحسن هو الإمام العالم الحافظ المسند الحجة، أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون البغدادي المقرئ ابن الباقلاني. ("سير أعلام النبلاء" / ١٤ / ص ١٥٠).

أبو القاسم بن بشران هو الشيخ، الإمام، المحدث، الصادق، الواعظ، المذكر، مسند العراق؛ أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران بن محمد بن بشران. ("سير أعلام النبلاء" / ١٧ / ص ٤٥٠).

أبو علي بن الصواف هو الشيخ، الإمام، المحدث، الثقة، الحجة، أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق البغدادي، ابن الصواف. ("سير أعلام النبلاء" / ١٦ / ص ١٨٤).

محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثقة معروف.

المنجاب بن الحارث هو ثقة، من رجال صحيح مسلم.

علي بن مسهر ثقة مشهور.

داود بن أبي هند ثقة مشهور.

الشعبي إمام حجة مشهور.

قال مسروق^(٥٣): كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - عمر وعلي وابن مسعود وزيد وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري.

نعم، هذا شيء من ذكر سيرته العاطرة والثناء الجميل عليه، وقد شارك في الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس، شارك في فتح أصبهان وفي فتح قم وقاشان وتستر وغيرها من البلدان. ومات بعد أن طوى الصفحة الجميلة من الأعمال الحسنة التي تقربه إلى الله.

يروي لنا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل، فحدث بشأنهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «إن هذه النار إنما هي عدو لكم، فإذا نتمم فأطفئوها عنكم».

فالسند صحيح.

^(٥٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢ / ٢٦٨) فقال: أخبرنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا حسن بن صالح عن مطرف، حدثني عامر عن مسروق به.

رجالها ثقات.

فالسند صحيح.

قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله رحمة واسعة^(٥٤): لما كان الأذى يقع من العدو ومن النار حسن التشبيه، وإن وقع الفرق بالقصد وعدم. انتهى.

فالعدو يؤذيك عن قصد والنار تؤذيك عن غير قصد لأنها جماد فإن استخدمتها بغير بصيرة وعاملتها بغير فطنة فإنك تتضرر بها.

نعم، احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله^(٥٥): لم أقف على تسميتهم.

ولا يضر إبهام أسماء الصحابة، فالعبرة من القصة حاصلة.

قال ابن حجر رحمه الله^(٥٦): قال بن دقيق العيد يؤخذ من حديث أبي موسى سبب الأمر في حديث جابر بإطفاء المصابيح.

^(٥٤) "كشف المشكل من حديث الصحيحين" (١ / ص ٤٠٥).

^(٥٥) "فتح الباري" (١١ / ص ٨٦).

^(٥٦) "فتح الباري" (١١ / ص ٨٦). وتمة كلام ابن دقيق العيدي: وهو فن حسن غريب، ولو تتبع لحصل منه

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما^(٥٧)، رفعه، قال: «خمروا الآنية، وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب واكفتوا صبيانكم عند العشاء، فإن للجن انتشارا وخطفة، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد^(٥٨)، فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت^(٥٩)».

ثم قال الحافظ ابن حجر: قد أفرد أبو حفص العكبري من شيوخ أبي يعلى بن الفراء بالتصنيف وهو في المائة الخامسة ووقفت على مختصر منه وكأن الشيخ ما وقف عليه فلذلك تمنى أن لو تتبع. انتهى.

^(٥٧) أخرجه البخاري (٣٣١٦) ومسلم (٢٠١٢).

^(٥٨) قال النووي رحمه الله: هذا الحديث فيه جمل من أنواع الخير والأدب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا، فأمر صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان، وجعل الله عز وجل هذه الأسباب أسبابا للسلامة من إيذائه، فلا يقدر على كشف إناء ولا حل سقاء ولا فتح باب ولا إيذاء صبي وغيره إذا وجدت هذه الأسباب. ("شرح النووي على مسلم" / ١٣ / ص ١٨٥).

^(٥٩) قال الطبري رحمه الله: في هذا الحديث الإبانة عن أن من الحق على من أراد المبيت في بيت ليس فيه غيره، وفيه نار أو مصباح ألا يبيت حتى يطفئه أو يحرقه بها يأمن به احراقه وضره، وكذلك إن كان في البيت جماعة، فالحق عليهم إذا أرادوا النوم ألا ينام آخرهم حتى يفعل ما ذكرت، لأمر النبي بذلك، فإن فرط في ذلك مفرط فالحق ضرر في نفس أو مال كان لو صية النبي لأمته، مخالفا ولأدبه تاركا. ("شرح صحيح البخاري" / لابن بطال / ٩ / ص ٦٦).

ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حريص على أمته، يحث عليهم ما ينفعهم. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٦٠) [التوبة: ١٢٨].

فحدّث بشأنهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. قال: «إن هذه النار إنما هي عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم»^(٦١).

ثم قال الحافظ ابن حجر: قد أفرد أبو حفص العكبري من شيوخ أبي يعلى بن الفراء بالتصنيف وهو في المائة الخامسة ووقفت على مختصر منه وكان الشيخ ما وقف عليه فلذلك تمنى أن لو تتبع. انتهى.

^(٦٠) أخرجه قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: منكم وبلغتكم. ("تفسير القرآن العظيم" / ٤ / ص ٢٤١).

وقال رحمه الله: وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يعز عليه الشيء الذي يَعنُتُ أمته ويشق عليها. ("تفسير القرآن العظيم" / ٤ / ص ٢٤١).

فالعننت هي دخول المشقة ولقاء الشدة، كما في "لسان العرب". وقال الإمام الطبري رحمه الله: وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى. ("جامع البيان" / ١٤ / ص ٥٨٤).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم. ("تفسير القرآن العظيم" / ٤ / ص ٢٤١).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الرؤوف: المبالغ في الرأفة والشفقة. ("الجامع" / ٨ / ص ٣٠٢).

وهذا يدل على إطلاع الراعي على شؤون رعيته من الخير والشر ليفرح بفرحهم، ويحزن بحزنهم، ولما في ذلك من المواساة والمعالجة والمداواة وإصلاح ذات بينهم، وتوجيه النصائح والتعليمات الشاملة من الراعي إلى رعيته.

فلما أخبر النبي صلى الله عليه بشأنهم فعجل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الناس بالنصيحة: «إن هذه النار إنما هي عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم».

قال العلامة ابن العربي رحمه الله^(٦٢)، وهو من فقهاء المالكية: معنى كون النار عدوا لنا أنها تنافي أبداننا وأموالنا منافاة العدو وإن كانت لنا بها منفعة لكن لا يحصل لنا منها إلا بواسطة، فأطلق أنها عدو لنا لوجود معنى العداوة فيها والله أعلم. انتهى.

^(٦٢) قال المناوي رحمه الله: (إن هذه النار) المشار إليه النار التي يخشى انتشارها (إنما هي عدو لكم) يا بني آدم. فإن قيل: ما معنى قصرها على العداوة وكثير من المنافع مربوط بها؟ فالجواب: أن هذا بطريق الادعاء مبالغة في التحذير عن إبقائها (فإذا نمتم) أي أردتم النوم (فأطفئوها عنكم) المراد به إسكانها بحيث يؤمن أضرارها. ("فيض القدير" / ٢ / ص ٥٤٨).

^(٦٣) كما في "فتح الباري" (١١ / ص ٨٦).

العدو يريد مالك ونفسك ومقدراتك. والنار تفعل بما يفعله العدو.

والواسطة هي: حسن الاستخدام.

قال ابن حجر رحمه الله^(٦٣): وقال القرطبي: الأمر والنهي في هذا الحديث للإرشاد. قال: وقد يكون للنذب. وجزم النووي بأنه للإرشاد؛ لكونه لمصلحة دينوية. وتعقب بأنه قد يفضي إلى مصلحة دينية وهي حفظ النفس المحرم قتلها والمال المحرم تبذيره. وقال القرطبي: في هذه الأحاديث أن الواحد إذا بات بيت ليس فيه غيره وفيه نار فعليه أن يطفئها قبل نومه أو يفعل بها ما يؤمن معه الاحتراق. وكذا إن كان في البيت جماعة فإنه يتعين على بعضهم وأحقهم بذلك آخرهم نوماً. فمن فرط في ذلك كان للسنة مخالفاً ولأدائها تاركا. انتهى.

نعم أيها المسلمون، إذا كان في البيت شمع تعين على بعضهم وأحقهم بذلك آخرهم نوم بعد قضاء حاجته: أن يطفىء الفتيل. فإذا فرط فيه فقد خالف

^(٦٣) كما في "فتح الباري" (١١ / ص ٨٦).

السنة فليترقب عقوبة الله على مخالفة السنة وأوامر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وليس يخفى يا معشر المسلمين ما وقعت في الساحات الاجتماعية من حوادث الاحتراق في المنازل والمحلات التجارية ومحلات الأقمشة ومحلات الستائر والفرش تحترق عن آخرها فيأتي الناس بتلاقي الإطفاء دون جدوى لأن هذه نار تلتهب على المبلول واليابس، والعياذ بالله.

«إن هذه النار إنما هي عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم».

قد يقول قائل: إذا كان هذه الشمعة على صفيحة من المعدن فإنها ما إن تصل إلى آخرها حتى تموت وتضمحل بنفسها، فهل يكفي هذا؟

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما^(٦٤)، رفعه، قال: «وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت».

قد يقول قائل: إذا أمنت من ذلك بأن يكون المصباح مرتفعاً لا يصل إليه الفأر أو كان في مكان أملس لا يستطيع الفأر الصعود؟

^(٦٤) أخرجه البخاري (٣٣١٦) ومسلم (٢٠١٢).

قال ابن دقيق العيد^(٦٥): إذا كانت العلة في إطفاء السراج الحذر من جر الفويسقة الفتيلة. فمقتضاه أن السراج إذا كان على هيئة لا تصل إليها الفأرة لا يمنع إيقاده كما لو كان على منارة من نحاس أملس لا يمكن الفأرة الصعود إليه، أو يكون مكانه بعيداً عن موضع يمكنها أن تثب منه إلى السراج. قال: وأما ورود الأمر بإطفاء النار مطلقاً كما في حديثي ابن عمر وأبي موسى، وهو أعم من نار السراج فقد يتطرق منه مفسدة أخرى غير جرّ الفتيلة كسقوط شيء من السراج على بعض متاع البيت، وكسقوط المنارة فينثر السراج إلى شيء من المتاع، فيحرقه فيحتاج إلى الاستيثاق من ذلك. فإذا استوثق بحيث يؤمن معه الإحراق، فيزول الحكم بزوال علته. قلت: وقد صرح النووي بذلك في القنديل مثلاً لأنه يؤمن معه الضرر الذي لا يؤمن مثله في السراج. انتهى.

إذا استوثق في ذلك بعد الاعتماد على الله فلا حرج في إبقاء السراج طول الليل لحاجة من الحاجات كمرعاية المرضى أو تردد إلى دروان المياه، والنساء المرضعات اللاتي يحتجن إلى الدوريات لصيانة الرضيع. ولذلك مثل هذه

^(٦٥) كما في "فتح الباري" (١١ / ص ٨٦).

المصابيح في المنازل تكون مأمونة الغوائل إن شاء الله لما فيها من ترصيدات السلامة، وأدوات السلامة والقواطع الكهربائية فتكون مأمونة إن شاء الله لكنها لغير حاجة إلى إسراجها في الليل يكون الأمر منهيًا عنه من باب التبذير والإسراف.

أو عدم الاتزان في الكهرباء فربما أهلكت عليك بعض الأجهزة وبعض المصابيح وبعض الأشياء الثمينة الغالية الثمن في المنزل فحينئذ تحتاج إلى إطفاء ما لا تحتاج في ليلك، وليس هذا كالشمعة لا يكون مأمون الغوائل، ولذلك قال الحافظ ابن دقيق العيد^(٦٦): فإذا استوثق بحيث يؤمن معه الإحراق فيزول الحكم بزوال علته.

وقد صرح النووي^(٦٧) بذلك في القنديل مثلاً لأنه يؤمن معه الضرر الذي لا يؤمن مثله في السراج.

^(٦٦) كما في "فتح الباري" (١١ / ص ٨٦).

^(٦٧) كما في "فتح الباري" (١١ / ص ٨٦).

شاهدنا: «إن هذه النار إنما هي عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم».

نسأل الله أن ينفعنا بها سمعنا.

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً مزيداً، أما بعد:

معاشر المسلمين، تقدم معنا في ثنايا الكلام من كلام العلامة ابن العربي رحمه الله^(٦٨)، وهو من فقهاء المالكية: معنى كون النار عدواً لنا أنها تنافي أبداننا وأموالنا منافاة العدو وإن كانت لنا بها منفعة لكن لا يحصل لنا منها إلا بواسطة فأطلق أنها عدو لنا لوجود معنى العداوة فيها والله أعلم.

فلذلك أقرأ عليكم بنصّه كلاماً جميلاً للعلامة ابن القيم رحمه الله في "مفتاح دار السعادة" (١/ ص ٢١٥-٢١٦)^(٦٩): ثم تأمل الحكمة في خلق النار

^(٦٨) كما في "فتح الباري" (١١ / ص ٨٦).

^(٦٩) كما في (١ / ص ٢١٥-٢١٦).

على ما هي عليه من الكمون، والظهور فإنها لو كانت ظاهرة أبداً كالماء والهواء كانت تحرق العالم وتنتشر ويعظم الضرر بها والمفسدة ولو كانت كامنة لا تظهر أبداً لفاتت المصالح المترتبة على وجودها، فاقتضت حكمة العزيز العليم أن جعلها مخزونة في الأجسام يخرجها ويبقيها الرجل عند حاجته إليها فيمسكها ويحبسها بمادة يجعلها فيها من الحطب ونحوه، فلا يزال حابسها ما احتاج إلى بقائها، فإذا استغنى عنها وترك حبسها بالمادة خبت بإذن ربها وفاطرها فسقطت المؤنة والمضرة ببقائها. فسبحان من سخرها وإنشأها على تقدير محكم عجيب اجتمع فيه الاستمتاع والانتفاع والسلامة من الضرر قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ إلى قوله ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فسبحان ربنا العظيم لقد تعرّف إلينا بآياته وشفاننا بيناته وأغنانا بها عن دلالات العالمين، فأخبر سبحانه أنه جعلها تذكرة بنار الآخرة فنستجير منها ونهرب إليه منها، ومتاعاً للمقوين، وهم المسافرون النازلون بالقواء، والقواء هي الأرض الخالية وهم أحوج إلى الانتفاع بالنار للإضاءة والطبخ والخبز والتدفئ والأنس وغير ذلك.

فصل ثم تأمل حكمته تعالى في كونه خص بها الإنسان دون غيره من الحيوانات فلا حاجة بالحيوان إليها بخلاف الإنسان؛ فإنه لو فقد لها لعظم الداخل عليه في معاشه ومصالحه. وغيره من الحيوانات لا يستعملها ولا يتمتع بها. وننبّه من مصالح النار على خلة صغيرة القدر عظيمة النفع، وهي هذا المصباح الذي يتخذ الناس فيقضون به من حوائجهم ما شأوا من ليلهم. ولو هذه الخلة لكان

الناس نصف أعمارهم بمنزلة أصحاب القبور. فمن كان يستطيع كتابة أو خياطة أو صناعة أو تصرفاً في ظلمة الليل الداجي؟ وكيف كانت تكون حال من عرض له وجع في وقت من الليل؛ فاحتاج إلى ضياء أو دواء أو استخراج دم أو غير ذلك. ثم انظر إلى ذلك النور المحمول في ذبالة المصباح على صغر جوهره: كيف يضيء ما حولك كله؛ فترى به القريب والبعيد؟ ثم انظر إلى أنه لو اقتبس منه كل من يفرض أو يقدر من خلق الله كيف لا يفنى ولا ينفذ ولا يضعف.

وأما منافع النار في إنضاج الأطعمة والأدوية وتجفيف ما لا ينتفع إلا بجفافه، وتحليل ما لا ينتفع إلا بتحليله، وعقد ما لا ينتفع إلا بعقده وتركيبه فأكثر من أن يُحصى. ثم تأمل ما أُعطيت النار من الحركة الصاعدة بطبعها إلى العلو: فلولا المادة تمسكها لذهبت صاعدة كما أن الجسم الثقيل لولا الإمساك يمسكه لذهب نازلاً. فمن أعطى هذا القوة التي يطلب بها الهبوط إلى مستقره وأعطى هذه القوة التي تطلب بها الصعود إلى مستقرها؟ وهل ذلك إلا بتقدير العزيز العليم؟ انتهى.

نعم أيها المسلمون، كلام مثل الذهب.

فتأمل هذا الحديث الذي ذكره العلامة النووي رحمه الله في باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها. فلما ترك الناس هذا الأدب في المنازل احترق عليهم بيتهم. وقس على هذه القصة غيرها من القصص:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه^(٧٠): أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشماله، فقال: «كل بيمينك»^(٧١)، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت»، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه^(٧٢).

إياك أن تعارض أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم^(٧٣) فتقع في هلكة وعذاب الله. نعم.

جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٧٤)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من بات وفي يده غمر، فعرض له عارض، فلا يلومن إلا نفسه».

^(٧٠) كما في صحيح مسلم (٢٠٢١).

^(٧١) قال ابن حجر رحمه الله: ويدل على وجوب الأكل باليمين ورود الوعيد في الأكل بالشمال. ("فتح الباري" / ٩ / ص ٥٢٢).

^(٧٢) قال النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر. وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل. ("شرح النووي على مسلم" / ١٣ / ص ١٩٢).

^(٧٣) قال الإمام محمد الصنعاني رحمه الله: ولا يدعو صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا على من ترك الواجب، وأما كون الدعاء لتكبره فهو محتمل أيضاً، ولا ينافي أن الدعاء عليه للأمرين معاً. ("سبل السلام" / ٢ / ص ٢٣٤).

الغمر هو الدسومة وبقاء الطعام إذا ما تعشى الإنسان وأكل شيئاً وبقيت في يده دسومة وشحم فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه^(٧٥).

والله أخبرني رجل أثق به قال: كنت قد علمت هذا الحديث فنمت متكاسلاً ليلة لم أغسل يدي، فما استيقظت إلا أجد قرصة فأرة، فوثبت إلى الهواء لشدة الألم ورجعت إلى الفراش فإذا بالفأر قد عضني في يدي^(٧٦).

^(٧٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٢٠) وابن حبان (٥٥٢١) وأبو داود (٣٨٥٢) والترمذي (١٨٥٩) وابن ماجه (٣٢٩٧)/ صحيح.

^(٧٦) قال المناوي رحمه الله: (من بات) وفي رواية من نام (وفي يده غمر) بفتح الغين المعجمة والميم بعدها راء: ريح لحم أو دسمه أو وسخه زاد أبو داود ولم يغسله (فأصابه شيء) أي إيذاء من بعض الحشرات (فلا يلومن إلا نفسه) لتعرضه لما يؤذيه من الهوام بغير فائدة وذلك لأن الهوام وذوات السموم ربما تقصده في المنام لريح الطعام فتؤذيه. ("فيض القدير" / ٦ / ص ٩٢).

^(٧٦) إن الاعتبار أمر مهم. قال شيخ الإسلام رحمه الله: والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه، كما قال ابن عباس: هلا اعتبرتم الأصابع بالأسنان؟ فإذا قال: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر: ٢]، وقال: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزي مثل جزائهم؛ ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار؛ وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين أتباع الأنبياء، قال تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [آل عمران: ١٣٧]. ("مجموع الفتاوى" / ١٣ / ص ٢٠).

سبحان الله؛ «من بات وفي يده غمر، فعرض له عارض، فلا يلومن إلا نفسه».

عن ابن المسيب^(٧٧)، عن أبيه: أن أباه جاء إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «ما اسمك» قال: حزن، قال: «أنت سهل» قال: لا أغير اسماً سمانيه أبي. قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد^(٧٨).

فأثر هذا الاسم على المسمى بعد مرور الشهور والأعوام: فما زالت الحزونة فينا بعد. الله أكبر: الصعوبة في أرزاقنا وأخلاقنا وتعاملاتنا مع الناس في المجتمع^(٧٩).

^(٧٧) كما في صحيح البخاري (٦١٩٠).

^(٧٨) قال الإمام أبو الوليد الباجي رحمه الله: والفرق بين هذا وبين الطيرة الممنوعة أن الطيرة ليس في لفظها ولا في منظرها شيء مكروه ولا مستبشع وإنما يعتقد أن عند لقائها على وجه مخصوص يكون الشؤم ويمتنع المراد وليس كذلك هذه الأسماء فإنها أسماء مكروهة قبيحة يستبشع ذكرها وسماها ويذكر بها يحذر من معانيها فاسم حرب يذكر بها يحذر من الحرب وكذلك مرة فتركه النفس لذلك، وكان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يحب الفأل الحسن، وقد روي عنه أنه قال: «أحب الفأل». قيل له: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الحسنة». وهي التي تذكر بها يرجوه من الخير فتسر به النفس وربما كان بمعنى البشارة بما قدره الله عز وجل من الخير ولذلك «قال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يوم الحديبية، وقد طلع سهيل بن عمرو: «وقد سهل لكم من أمركم»، فكان كما قال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . ("المنتقى شرح الموطأ" ٧ / ص ٢٩٥).

لو أنه قبل أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لاستحال الصبح سهلاً.

عن أنس رضي الله عنه^(٨٠)، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن سهلاً إذا شئت»^(٨١).

وتأمل بالمقابل إلى قوم بادروا إلى امتثال أوامر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كيف صلح وصلحت أحوالهم. رجل يقال له عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه^(٨٢): أنه قال: قدمت على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبني

^(٧٩) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وإذا أردت أن تعرف تأثير الأسماء في مسمياتها فتأمل حديث سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده. ("تحفة المودود" / ص ١٢١).

^(٨٠) كما في صحيح ابن حبان (٩٧٤).

^(٨١) فالأمر بيد الله وحده، وهو فعال لما يشاء. قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: فكم من ملك سلب ملكه بين عشية وضحاها، وكم من إنسان عادي صار ملكاً بين عشية وضحاها، لان الأمر بيد الله. وكم من إنسان عزيز يري انه غالب لكل أحد، فيكون أذل عباد الله بين عشية وضحاها! وما من إنسان ذليل يكون عزيزاً بين عشية وضحاها، لان الملك والحكم لله سبحانه وتعالى. وكذلك الحكم الشرعي لله، ليس لاحد، فالحمد لله الذي يحلل ويحرم ويوجب، وليس أحد من الخلق له الفصل في ذلك. ("شرح رياض الصالحين" / ١ / ص ٤٣٨-٤٣٩).

^(٨٢) أخرجه ابن ماجه سنن (٣٥٢٢) وعبد بن حميد (٣٥٢)، صحيح.

وجع، قد كاد يبطلني، فقال لي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اجعل يدك اليمنى عليه، وقل بسم الله أعوذ بعزة الله، وقدرته من شر ما أجد، وأحاذر، سبع مرات»، فقلت ذلك، فشفاني الله^(٨٣).

امرأة رآها رسول الله فاقدة زوجها وهي من المهاجرة، وهي أم سلمة رضي الله عنها.

عن أم سلمة^(٨٤)، زوج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾»^(٨٥) [البقرة: ١٥٦]، اللهم أجرني في

وفي صحيح مسلم (٢٢٠٢): أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».

^(٨٣) قال المناوي رحمه الله: هذا العلاج من الطب الإلهي لما فيه من ذكر الله والتفويض إليه والاستعاذة بعزته وتكراره يكون أنجع وأبلغ كتكرار الدواء الطبيعي لاستقصاء إخراج المادة وفي السبع خاصية لا توجد لغيرها. ("فيض القدير" / ٤ / ص ٢٥٦).

^(٨٤) كما في صحيح مسلم (٩١٨).

^(٨٥) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته.

مصيبي، وأخلف لي خيرا منها، إلا أجره الله في مصيبيته، وأخلف له خيرا منها»^(٨٦)،

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه فهو كالغير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضا فإنه محفوف بعدمين: عدم قبله وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه، حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يبقى عليه وجوده، فليس له فيه تأثير، ولا ملك حقيقي، وأيضا فإنه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور المنهي لا تصرف الملاك، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكة الحقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة: بلا أهل، ولا مال، ولا عشيرة، ولكن بالحسنات، والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته، فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود، ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء، ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. قال تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير - لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣] [الحديد: ٢٢].

(انتهى من "زاد المعاد" / ٤ / ص ١٧٣ - ١٧٤).

^(٨٧) قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: وفي هذا الحديث تعليم ما يقال عند المصيبة، وهو قول لا ينبغي لمن أصيب بمصيبة في مال أو حميم أن يحيد عن ذلك، وعليه أن يفزع إليه تأسيا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ومعنى قوله: (إلا فعل الله ذلك به) أي: أجره في مصيبيته وأعقبه منها الخير، كما قال: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ [القصص: ٨٤] أي: منها خير. ("الاستذكار" / ٣ / ص ٨١).

قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت: كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأخلف الله لي خيراً منه، رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم^(٨٧).

فهل من مقارنة بين أبي سلمة وبين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ لا^(٨٨).

نعم أيها المسلمون. إذاً من كان آخذاً بتوجيهات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سعد وسعدت أحواله. ومن عصى أوامر النبي عليه الصلاة والسلام فلا يلقي إلا الويلات ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٨٩) [النور: ٦٣].

^(٨٧) وفي رواية في صحيح مسلم (٩١٨): قالت أم سلمة: فلما توفي أبو سلمة قلته، ثم قلت ومن خير من أبي سلمة؟

قال الإمام أبو الوليد الباجي رحمه الله: وذلك لما كانت تعلم من فضل أبي سلمة ودينه وخيره واستبعدت لذلك أن تعوض بخير منه ولم تكن تظن أن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يتزوجها ولو ظنت ذلك لم تقله. فأعقبا الله رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهو خير من أبي سلمة. ("المنتقى شرح الموطأ" / ٢ / ص ٢٩).

^(٨٨) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول والرضا عن الله إلى ما آلت إليه وأنالت أم سلمة نكاح أكرم الخلق على الله. ("عدة الصابرين" / ص ٧٩).

^(٨٩) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي: عن أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله،

ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في "شرح رياض الصالحين"^(٩٠) : ومن ذلك أيضاً صامات الغاز التي حدثت في عصرنا الحاضر، فصامات الغاز يجب على الإنسان أن يتفقدوها؛ لئلا يكون فيها شيء من التسريب؛ فتملاً الجو من الغز، فإذا أشعل النار احترق المكان كله^(٩١). انتهى.

وهناك قصة والله مؤلمة : رجل كان حديث عهد بزواج، فما أصبح الصباح إلا وقام سخن الماء بغير رعاية العنوب وكان حديث عهد بشراء له فانفجر عليه فمات وماتت أهله. الله أكبر. نعم، العناية العناية.

فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنا ما كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أي: في الدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ٨٩-٩٠).

^(٩٠) (٢/ ص ٢٩٢).

^(٩١) وقال بعد ذلك: ومن ذلك أيضاً أفياش الكهرباء، ينبغي على الإنسان أن يكون حريصاً عليها ومتفقداً لها، وأن يكون الذي يركبها شخصاً عارفاً مهندساً؛ حتى لا تتركب على وجه الخطأ؛ فيحصل بذلك الاحتراق، إما احتراقاً كلياً للبيت كله أو لجزء منه. المهم أن الإنسان يجب عليه الاحتراز من كل ما يخشى.

وقال قبل ذلك: ولهذا أمر الإنسان عند النوم أن يطفئ النار ولا يقول هذه سهلة أنا آمن من ذلك، ربما يظن هذا الظن ولكن يحدث ما لا يخطر على باله. انتهى.

وكذلك الموقد الذي يوجد في بعض أهل المنازل إذا كنت على وشك النوم اقلقه بضمان لأنه ربما امتلأ الغاز في المنزل، وقد شهد شهود العيان بموت أسرة بكاملها من جراء هذا الموقد إذ ناموا بغير العناية بالموقد برمي جمرة في الرماد.

وكذلككم معاصر المسلمين: الأفياش الكهربائية والسلكية المهربائية لا ينبغي أن يباشرها من تركيبها أو صيانتها إلا خبير عالم حاذق بغوائلها. وإلا: فكم تسبب عدم الحذق انفجارات الكهرباء في هذه الأسلاك تضرر بها عشرات أو مئات أو ألوف الناس، وهي نار إن لا يحسن الناس تديرها والتعامل معها، لا سيما في الأماكن العامة والأماكن الكبيرة كأماكن الحج والعمرة، فانفجرت فتحترق بمساكنها وسكانها جراء تصرف خاطئ من أحد السكان في بعض أفياش فيسبب احتراقات عظيمة التي تحصل على جرائها خسائر في الأموال والأرواح.

ودخولا إلى المقصود من طرحنا هذا الحديث تعلمون بارك الله فيكم ما يجري على أهل الأسواق السوداء في بلادنا اليمنية في هذه الأيام ومما شاع وذاق، وملاً القاع والبقاع من انفجار المشتقات النفطية على أصحاب السوق السوداء الذين يشترون هذه المشتقات ويركّبونها تركيباً أشوائياً بغير اتخاذ ترصيدات السلامة ولذلك تجدون محطات بنزين مزودة بترصيدات السلامة فلذلكم يقلّ الاحتراق فيها على مدى عشرات السنين. ولكن في مثل هذه الأسواق التي هي حادثة الساعة تسمع بين الحين والآخر احتراق البراميل على أهلها وعلى

أصحابها، ويأتي ذلكم المسكين يركمون البراميل على القلبات والحاويات وربما كان يدخن بجانبها أو جاءه من الزبائن من كانت الانفجارات على يده فاحترقت هذه البراميل واحترقت السيارات والمحلات، فالله المستعان.

ينبغي أن تكون رجلا فطناً، أولاً أن تتقي الله في شأنه لأن هذه المشتقات هي حق عام، وحقها أن يصرف للمواطنين الذين يبقون في الليالي للانتظار أمام المحطات الرسمية، ولا يجدون حاجتهم وهي مخزنة عندك، فأنت أسببت الضرر على المسلمين ثم على نفسك، ولعل هذا من دعوة الرسول، فاتق الله ولا ينبغي أن تتجر في هذه التجارة الخاسرة.

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم^(٩٢): «من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم، فإن حقا على الله أن يقعه بعظم من النار يوم القيامة»^(٩٣).

^(٩٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٠٣١٣) والرويان في مسنده (١٢٩٥) وأبو داود الطيالسي في مسنده (٩٧٠) والطبراني في الكبير (٤٨٠)/ حسن.

^(٩٣) قال الإمام الشوكاني رحمه الله: والحاصل أن العلة إذا كانت هي الإضرار بالمسلمين لم يحرم الاحتكار إلا على وجه يضر بهم. ويستوي في ذلك القوت وغيره؛ لأنهم يتضررون بالجميع. ("نبيل الأوطار" / ٥/ ص ٢٦٢-٢٦٣).

هذه تجارة خاسرة^(٩٤)، وهذا تضيق على الناس وعلى المواطنين، هذا حق عام يمتلكه المواطنون أجمعون. لماذا تسبب الأزمات على عباد الله وأنت تمتلكه في سوق السوداء ربما أصابتك دعوة المظلوم، فاتق الله وحافظ على نفسك وعلى مقدراتك من أن تهلك نفسك بهذه التصرفات الأشوائية.

نعم أيها المسلمون، أخبر كثير من الناس أنه لا بركة في التجارة في الأسواق السوداء، يقول: والله، عندما نجمع مئات آلاف لكن ييدها الله ولا

^(٩٤) نعم، هي خاسرة التجارة لقول الله تعالى: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». (أخرجه مسلم (٦٧٤٤)).

قال القرطبي رحمه الله: فلا إفلاس أعظم من هذا ، ولا أخسر صفقة ممن هذه حاله. ففيه ما يدل على وجوب السعي في التخلي من حقوق الناس في الدنيا بكل ممكن ، والاجتهاد في ذلك. ("المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" / ٢١ / ص ١٠٢).

ندري أن ذهبت وأين سلبت من أيدينا؟ لأنها أموال لا بركة فيها^(٩٥). حافظ على كرامات الناس ألا يبقوا ينتظرون في الشوارع الليالي والأيام. رُدّ هذا البترول في

^(٩٥) وقد عامل الله المبطلين بنقيض مقاصدهم. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فالمحتال بالباطل معامل بنقبض قصده شرعاً وقدرأ. وقد شاهد الناس عياناً أنه من عاش بالمكر مات بالفقر.

ولهذا عاقب الله سبحانه وتعالى من احتال على إسقاط نصيب المساكين وقت الجداد بحرمانهم الثمرة كلها.

وعاقب من احتال على الصيد المحرم بأن مسخهم قرده وخنازير.

وعاقب من احتال على أكل أموال الناس بالربا بأن يمحق ماله. كما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

فلا بد أن يمحق مال المرابي ولو بلغ ما بلغ.

وأصل هذا: أن الله سبحانه جعل عقوبات أصحاب الجرائم بضد ما قصدوا له بتلك الجرائم، فجعل عقوبة الكاذب إهدار كلامه ورده عليه.

وجعل عقوبة الغال من الغنيمة لما قصد تكثير ماله بالغلول: حرمانه سهمه، وإحراق متاعه.

وجعل عقوبة من اصطاد في الحرم أو الإحرام: تحريم أكل ما صاده، وتغريمه نظيره.

وجعل عقوبة من تكبر عن قبول الحق والانقياد له: أن ألزمه من الذل والصغار بحسب ما تكبر عنه من الحق.

وجعل عقوبة من استكبر عن عبوديته وطاعته: أن صيره عبداً لأهل عبوديته وطاعته.

وجعل عقوبة من أخاف السبيل وقطع الطريق: أن تقطع أطرافه، وتقطع عليه الطرق كلها بالنفى من الأرض، فلا يسير فيها إلا خائفاً.

وجعل عقوبة من التذ بدنه كله وروحه بالوطء الحرام: إيلاام بدنه وروحه بالجلد والرجم فيصل الألم إلى حيث وصلت اللذة.

وشرع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عقوبة من اطلع فى بيت غيره: أن تقلع عينه بعود ونحوه، إفساداً للعضو الذى خانه، وأولجه بيته بغير إذنه، واطلع به على حرمة.

وعاقب كل خائن بأنه يضل كيده ويطله ولا يهديه المقصوده وإن نال بعضه، فالذى ناله سبب لزيادة عقوبته وخيبته: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِثِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

وعاقب من حرص على الولاية، والإمارة والقضاء، بأن شرع منعه وحرمانه ما حرص عليه كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إِنَّا لَا نُوَلِّي عَمَلَنَا هَذَا مَنْ سَأَلَهُ".

ولهذا عاقب أبا البشر آدم عليه السلام: بأن أخرجه من الجنة لما عصاه بالأكل من الشجرة ليخلد فيها، فكانت عقوبته إخراجها منها، ضد ما أمله.

وعاقب من اتخذ معه إلها آخر، ينتصر به، ويتعزز به: بأن جعله عليه ضدا يذل به، ويخذل به. كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢] وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٧٤-٧٥].

وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

ضد ما أمله المشرك من اتخاذ الإله من النصر والمدح.

وعاقب الناس إذا بخسوا الكيل والميزان بجور السلطان عليهم، يأخذ من أموالهم أضعاف ما يبخس به بعضهم بعضا.

وعاقبهم إذا منعوا الزكاة والصدقة ترفيها لأموالهم بحبس الغيث عنهم، فيمحق بذلك أموالهم، ويستوى غيهم وفقيرهم فى الحاجة.

المحطات الرسمية حتى يباع في الأسواق بالأسعار الرسمية، واتفق الله أن تصيبك دعوة المظلوم^(٩٦).

وعاقبهم إذا أعرضوا عن كتابه وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وطلبوا الهدى من غيره: بأن يضلهم، ويسد عليهم أبواب الهدى كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث على رضى الله عنه الذى رواه الترمذى وغيره، وذكر القرآن: «مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَاصِمُهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ».

فإن المعرض عن القرآن إما أن يعرض عنه كبرا، فجزاؤه أن يقصمه الله، أو طلبا للهدى من غيره فجزاؤه أن يضلّه الله.

وهذا باب واسع جدا عظيم النفع. لمن تدبره يجده متضمنا لمعاقبة الرب سبحانه من خرج عن طاعته، بأن يعكس عليه مقصوده شرعاً وقدرراً، دنيا وآخره. وقد اطردت سنته الكونية سبحانه في عبادته، بأن من مكر بالباطل مكربه، ومن احتال احتيل عليه، ومن خادع غيره خدع. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

فلا تجد ما كراً إلا وهو ممكور به، ولا مخادعا إلا وهو مخدوع، ولا محتالا إلا وهو محتال عليه.

(انتهى من "إغاثة اللهفان" / ١ / ص ٣٥٨-٣٦٠).

^(٩٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب». (أخرجه البخاري (٢٤٤٨) ومسلم (١٩)).

وعن أسلم العدوي رحمه الله: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى فقال: يا هني اضمم جناحك عن المسلمين واتفق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة. (أخرجه البخاري (٣٠٥٩)).

نسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا وأن يرزقنا علماً بما ينفعنا.

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم قاتل الكفرة المحلدين أعداءك أعداء الدين اللهم اجعل لنا من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل عسر يسراً، ومن كل بلاء عافية، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا همّاً إلا فرّجته، ولا دين إلا قضيته، ولا حاجة إلا يسّرتها يا رب العالمين. اللهم اجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، اللهم من أرادنا وبلدنا بسوء فاشغله بنفسه واجعل كيده في نحره واجعل تدبيره في تدميره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صنعاء، ٦ ذو القعدة ١٤٣٦ هـ

وبوّب الإمام البخاري في صحيحه: باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم. (فوق الحديث

((٢٤٤٨)).

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. (أخرجه البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣)).

